# ميلاد المسيح بين القرآن الكريم والأناجيل

حميدة طرقي

**ملخص:**

يعدّ ميلاد المسيح المعجزي حدثًا مهمًّا في تاريخ البشرية، وازدادت أهمّيته عند النّصارى حينما ألّهوه وحاولوا إثبات ذلك بكلّ الطّرق، ولمّا كان لهم المسلمون بالمرصاد لجأوا إلى أسلوب آخر ألا وهو المقارنة بين الأناجيل والقرآن في قصّة ميلاده خاصة الشّبه الموجود بين إنجيل لوقا وبين سورة مريم وأنّ القرآن من خلال بعض آياته قد اعترف بالطريقة السّرية والعجيبة التي لم تكن لكائن بشري سواه، ولكنّ الحقيقة أنّ القرآن تكلم عن عيسى عليه السلام حديثًا واضحاً ولم ينكر ميلاده المعجزي، كما تكلم عن معجزاته وعن دعوته وعن الخصائص التي أكرمه الله تعالى بها لبيان أنه عبد الله ورسوله مرسل إلى بني إسرائيل ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

**Abstract :**

The birth of Christ is a miracle scene and an important event in the history of humanity, and its importance grew when the Christians tried to prove it by all ways, whereas Muslims lookout resorted to another method is the comparison between the Gospels and the Quran in the birth story specially between the Gospel of Luke and Surah of Maryam, and that the Quran through some verses have recognized how secrecy and curiosities that were not for a human being, but the fact that the Qur'an speaking about Jesus clearly did not deny the newly born miracle. He also spoke about his miracles and his calling and about the characteristics that Allah has bestowed upon him to show that he is the messenger of Allah and his messenger sent to the Children of Israel to bring them out of the darkness to the light.

### 1. ميلاد المسيح في الأناجيل:

ترد قصة ميلاد المسيح عيسى عليه السلام في الإنجيل في عديد الفقرات ويستند عليها المنصرون في بيان أن ميلاده معجزي وهو الأمر الذي يثبت ألوهيته، مؤكدين أنها تشبه ما جاء في القرآن الكريم خاصة ما ورد في سورة مريم فنجدها في **إنجيل لوقا** كما يلي:

**[أرسَلَ اللهُ المَلاكَ جِبرائيلَ إلى بَلدَةٍ في الجَليلِ اسمها النّاصِرَةُ، إلى عذراءَ اسمها مَريَمُ، كانَت مَخطوبَةً لِرَجُلٍ مِنْ بَيتِ داودَ اسمه يوسُفُ، فدخَلَ إليها المَلاكُ وقالَ لها: السَّلامُ عليكِ، يا مَنْ أنعمَ اللهُ عليها، الرَّبُّ مَعكِ، فاضطرَبَت مَريَمُ لِكلامِ المَلاكِ وقالَت في نَفسِها: ما مَعنى هذِهِ التَّحيَّةِ؟ فقالَ لها المَلاكُ: لا تَخافي يا مَريَمُ، نِلتِ حُظوَةً عِندَ اللهِ: فستَحبَلينَ وتَلِدينَ اَبنًا تُسَمّينَهُ يَسوعَ. فيكونُ عظيمًا واَبنَ اللهِ العَليّ يُدعى، ويُعطيهِ الرَّبُّ الإلهُ عرشَ أبيهِ داودَ، ويَملِكُ على بَيتِ يَعقوبَ إلى الأبدِ، ولا يكونُ لِمُلْكِهِ نِهايةٌ! فقالَت مَريَمُ لِلملاكِ: كيفَ يكونُ هذا وأنا عَذراءُ لا أعرِفُ رَجُلاً؟ فأجابَها المَلاكُ: الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ عليكِ، وقُدرَةُ العليّ تُظَلِّلُكِ، لذلِكَ فالقدُّوسُ الّذي يولَدُ مِنكِ يُدعى اَبنَ اللهِ. ها قَريبَتُكِ أليصاباتُ حُبلى بابنٍ في شَيْخوخَتِها، وهذا هوَ شَهرُها السّادِسُ، وهيَ الّتي دَعاها النّاسُ عاقِرًا. فما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ. فقالَت مَريَمُ: أنا خادِمَةُ الرَّبِّ: فَلْيَكُنْ لي كَما تَقولُ. ومَضى مِنْ عِندِها المَلاكُ]**[1] وقبل عرض ما يقابلها في النّص القرآني نعرض أوّلًا التّفسير اللّاهوتي لميلاد المسيح، يقول الأب فاضل سيداروس أنّ القرآن الكريم عمّم مبدأ معارضة فكرة الولادة في الله، في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[2]، ويعتبر أن هذا الاعتراض منطقي لو تمّ لفظة الولادة على مدلولها البشري الجسدي الجنسي الزمني، ولكن في سبيل فهمها فهمًا صائبًا يليق بسر الله، وجب تطهير اللّفظة من مدلولها البشري لترتقي إلى مدلولها الإلهي[3].

1. لوقا 1: 26 - 38.
2. الإخلاص: 3.
3. فاضل سيداروس: سرّ الله الثّالوث -الأحد- (دراسات لاهوتية)، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، 33.

## 2. ميلاد المسيح في القرآن الكريم:

أما في القرآن الكريم فيعود المبشرون إلى آيات ميلاده المعجزي وبيان معجزاته وخوارقه. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾[1].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[2] يعلل المسيحيون وخاصة المبشرون الذين أرادوا الاستدلال بآيات القرآن الكريم لإثبات عقائدهم ونظرتهم للمسيح وإثبات ألوهيته، أنّ القرآن الكريم ومن خلال هاته الآيات قد اعترف بالطريقة السرية والعجيبة التي لم تكن لكائن بشري سواه، فقد قالوا أنّ القرآن أثبت أنّ المسيح لم يولد من زرع بشري كالمتّبع في تناسل جميع الناس بلا فارق أو استثناء، ففي الآية القرآنية: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ

1. مريم: 16-33.
2. المائدة: 110.

بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[1] تصديق واضح لما ذكرته الكتب المقدسة عن ذلك الميلاد العجيب، فالنّبي إشعياء يقول في العهد القديم: **[وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ]**[2] ولوقا الإنجيلي يشرح لنا كيف بشَّر الملاك العذراء بميلاد المسيح، وكيف تمت الولادة بطريقة سرية خارقة للعادة[3]، كما أنّ الإله تجسد وتربى في رحم مريم وظهر للناس في صورة عيسى بن مريم[4]. ويضيف المبشرون أنه من الخطأ أن يحتج المسلمون بأن خلق آدم شبيه بخلق المسيح، فآدم خلق خلقا ولو يولد ولادة، وآدم خلق من طين ولم يذكر عنه أنه كلمة الله وروح منه، وآدم كان ينبغي أن يوجد من غير أب لأنه كان الأب الأول للبشر، أمّا المسيح فعند ولادته كانت الأرض قد عمرت من الآباء الوالدين والأبناء المولودين، فولادة المسيح لا شبيه لها ولا مثال، والطريقة التي تمت بها تثبت له شخصية خارجة عن دائرة البشر، وإقرار الإسلام بهذا الميلاد مصادقة منه على سمو شخصية المسيح وحقيقة لاهوته الممجد[5].

### 3. تفنيد احتجاجهم بهاته الآيات القرآنية:

إن الآيات المحكمات تفند هذا الاستدلال على أن هاته الآيات الكريمة تذكر ميلاد المسيح ومعجزاته لبيان ألوهيته بل بالعكس فالقرآن الكريم تكلم عن عيسى عليه السلام حديثًا واضحًا ولم ينكر ميلاده المعجزي، كما تكلم عن معجزاته وعن دعوته وعن الخصائص التي أكرمه الله تعالى بها لبيان أنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل وليخرجهم من الظلمات إلى النور.

---

1. مريم: 20-21.
2. إشعياء 7: 14.
3. لوقا 1: 26-38.
4. عبد الله الجزيري: أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين، منشورات أسمار، باريس، فرنسا، د ط، 2007م، ص281.
5. إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، سويسرا، ط5، 1995م، ص131-132.

كما أن من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، ما ورد في الصحيحين: روى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم، قال: **(ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مسِّ الشيطان إياه إلا مريم وابنها)**[1]، ونجد المراغي في تفسيره مفسراً شارحاً للمعاني اللّغوية مجملاً المعنى الكلي فيقول في تفسير آيات من سورة مريم ما يلي: (فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) أي أنها اتخذت من دون أهلها سترًا يسترها عنهم وعن الناس، فأرسلنا إليها جبريل عليه السلام فجاءها بصورة رجل معتدل الخلق ليعلمها بما يريد بها من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، إذ ربما يشتبه عليها الأمر فتقتل نفسها أسى وغمًا، وإنما مثّل لها بهذا المثال لتأنس بكلامه، وتتلقى منه ما يلقى إليها من كلماته، ولأنّه لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع محاورته، ثم حكى عنها سبحانه ما قالته حينئذ فقال: (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي لما رأته فزعت منه وقالت: إني أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّم الله عليك إن كنت ذا تقوى له، تتقى محارمه، وتجتنب معاصيه، فمن يتق الله يجتنب ذل، وإجمال المعنى - أنه لما تبدى لها في صورة البشر وهي في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنّت أنه يريدها على نفسها فقالت: إني أعوذ بالله منك إن كنت تخافه، فلما علم جبريل خوفها: قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا أي قال الملك مجيبًا لها ومزيلًا لما حصل عندها من الخوف على نفسها: لست ممن تظنين، ولا يقع مني ما تتوهمين من الشر، ولكني رسول ربك بعثني إليك، لأهب لك غلامًا طاهرا مبرّأ من العيوب، وقد أضاف الهبة إلى نفسه من قبل أنها جرت على يده بأن نفخ في جيبها بأمر الله، ولما عجبت مريم مما سمعت: قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا، أي قالت لجبريل: من أي وجه يكون لي غلام، ولست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور؟، قال كذلك قال ربك هو على هين، أي قال الملك

1. حديث صحيح، صحيحا البخاري ومسلم.

مجيبًا لها عمّا سألت: إن الله قد قال: أنّه سيوجد منك غلام وإن لم تكوني ذات بعل، ولا تقترفين فاحشة، فإنه تعالى على ما يشاء قدير، ولا يمتنع عليه فعل ما يريده، ولا يحتاج في إنشائه إلى الموادّ والآلات، ونحو الآية قوله في سورة آل عمران: «كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ولنجعله آية للناس»، أي وفعلنا ذلك لنجعل خلقه برهانا على قدرتنا، فقد خلقنا أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلقنا عيسى من أنثى فحسب، وخلقنا بقية الذرية من ذكر وأنثى، وإلى الأولين أشار القائل: ألا رب مولود وليس له أب وذي ولد لم يلده أبوان[1].

وفي تفسير آيات سورة المائدة يورد ابن كثير: يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام مما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات، خلقه من أم بلا أب، وجعله آية ودلالة قاطعة على كمال قدرته على الأشياء (وعلى والدتك) حيث جعلتك لها برهانًا على براءتها مما نسبه الظالمون إليها من الفاحشة، وجعلتك نبيا داعيًا إلى الله في صغرك وكبرك، فأنطقتك في المهد صغيرًا، فشهدت ببراءة أمك من كل عيب، واعترفت لي بالعبودية، وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوتك إلى عبادتي ولهذا قال تعالى: (تكلم الناس في المهد وكهلا)؛ أي: تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك، وضمن «تكلم» تدعو، لأن كلامه للنّاس في كهولته ليس بأمر عجيب[2].

**وفي كتب الردود نجد الباقلاني في كتابه التمهيد يورد:**

أن ميلاد المسيح المعجز أدى إلى افتراق المسيحيين إلى ملكانية ويعاقبة ونسطورين وكلهم يخبط خبط عشواء لتأكيد صحة فهمه فيقول سائلًا الملكانية منهم، اخبرونا كيف ولدت مريم الابن دون الأب و وروح القدس، وهو غير مباين لهما ولا منفصل عنهما، فيكون المتحد بالجسد

1. أحمد المراغي: تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، مصر، د ط، 1971 م، ج16، ص35
2. إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، ج3، ص200

حملًا في بطن مريم والروح والجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم، وهما مع ذلك غير متباينين ولا منفصلين ممّا هو حالّ في الجسد، فما لا ينفصل و لا يتميّز بالذات كيف يكون منه مولود و غير مولود و منه متحذ ومنه غير متحد لولا الجهل و العجز[1]، فالباقلاني هنا يطرح إشكالية ميلاد المسيح دون أن يتم معه ميلاد الأب و الروح القدس بالرغم من عدم انفصال الأقانيم، وبذلك تعجب كيف يمكن للابن أن يولد دون الأب والروح، لأنه غير منفصل عن الأب وغير متميّز عنه.

وها هو القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة يتعجب أيضًا يقول: إن تعظيم المسيح وأمه وبيان ميلاده عليه السلام لا نزاع فيه، ولم يّكفر النصارى بالتعظيم وإنما كفرت بنسبة أمور أخرى إليهما لا تليق بجلال الربوبية ولا بدناءة البشرية من الأبوة والبنوة والحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والأولاد[2]. قصة مولد عيسى عليه السلام قصة عجيبة، ووجه العجب فيها هو ولادة أمه له من غير زوج وهو الأمر الذي جعل المنصرين يستدون إلى الآيات القرآنية السابقة الذكر وتفسيرها على أساس أنها خرق للناموس الكوني وأن هذا تأكيد لألوهيته فالإنسانية لم تشهد خلق نفسه.

هذا الحادث العجيب الضخم في تاريخ البشرية خرق لسنة الله في هذه الحياة التي جرت على التناسل والتزاوج بين الذكر والأنثى أحقاباً مديدة، حتى استقر في تصور البشر أن هذه هي الطريقة الوحيدة للتناسل إن القرآن الكريم في سورة مريم يقص كيف وقع هذا الحدث العجيب، ويبرز دلالته الحقيقية، وينفي عنه تلك الاستدلالات الباطلة بأن ميلاده يعني ألوهيته وما يؤيد هذا هو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]، إضافة إلى ما روي عن

1. الباقلاني: التمهيد، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، د ط، 1975، ص95، 96.
2. القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تحقيق: بدر عوض، شركة سعيد رأفت للطباعة، مصر، ط2، 1987 م، ص77.
3. آل عمران: 59.

النبي ﷺ وما أورده المفسرون وعلماء المسلمين الذين وقفوا لمثل هاته الأباطيل من أقدم العصور رادين نافين مستدلين بمصادرهم كالباقلاني والقرافي وغيرهم كثير.